

القوامة للتي هي أقوم

Guardianship to that which I stand

د. عبير إبراهيم قارة

أستاذ مساعد في كلية جدة العالمية، جدة، المملكة العربية السعودية

Email: Abeer@jcollege.edu.sa

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة في مسألة القوامة في الشريعة الإسلامية بتبيين أهمية هذا المبدأ وأثره الكبير في استقامة الحياة الأسرية ومن ثم استقامة المجتمع ككل عندما يفقه كل من الزوجين دوره بمعرفة حقوقه وواجباته وفق منظومة ربانية أصيلة ومحكمة، وقد تطرقتُ بمنهج استقرائي ثم نقدي لدراسة السياق الذي وردت فيه القوامة ثم تعريفها، ويلى ذلك مبحث يشرح حال المرأة في عصر الرسالة وما تلا ذلك من عصور الانحدار في الفهم والتطبيق وشرحتُ أسباب تلك القوامة وكم تظلم المرأة في مجتمعات تسعى لتحقيق المساواة التامة بينها وبين الرجل، وبانتحال المرأة مع هذه القوامة من إذعان باختيار أو ترفع ونشوز، ثم توصلتُ - بفضل الله - لنتائج عدة بناء لما تم البحث فيه وجملة من الاقتراحات والتوصيات الهامة التي لا بد منها للأسرة ومجتمع فاضل.

الكلمات المفتاحية: القوامة، النفقة، النشوز، النساء، المساواة، الضرب.

Guardianship to that which I stand

Researcher: Dr. Abeer Ibrahim Qara

Assistant Professor, Jeddah International College, Saudi Arabia

Abeer@jicollege.edu.sa

Abstract:

This study aims to investigate the concept of guardianship “qiwama” in Islamic law by showing the importance of this principle and its great impact on the integrity of family life and thus the integrity of society as a whole. Guardianship is implemented when each of the spouses understands his role by knowing his rights and duties according to an authentic and refined divine system. Adopted in this study is an inductive and then critical approach for the context presented. First, “qiwama” is defined then followed by an examination explaining the condition of women in the era of prophet’s mission and the subsequent eras of when the decline occurred in understanding and the application of guardianship.

The reasons for guardianship in the Islamic context were explained, and how much women's grievance is in societies that seek to achieve complete equality between them and men. The condition of women with this “qiwama” was explained either by choosing or raising and disobeying it. With the blessings of God, I reached several conclusions based on what was discussed and a number of important suggestions and recommendations that are necessary to implement in order establish a virtuous family and society.

Keywords: Guardianship, alimony, disobedience, women, equality, beating.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، اللهم إياك نستعين ونهتدي وإياك ندعو ونرجو، والصلاة والسلام على أنبياء الهدى والرحمة ومن ختمت به الرسالات والدعوات محمد صلى الله عليه وسلم وآله وسلم تسليماً كثيراً أما بعد.. قال تعالى:
(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ تَبِعْتُمْ مِنْ بَعْضٍ)¹ آل عمران 195

1 - آل عمران 195.

لم ترتق شريعة بأنتى، كما ارتقى الإسلام بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل، وجعلت من الرجل بعضاً من المرأة، فهم سواء في التكليف والمسؤولية والعمل، والأكرم عند الله منهم من حاز امتياز التقوى وسام القبول فكان عمله موافقاً لمقاصد الله وجوهر شريعته في أرضه ..

سنتزل المرأة تبحث عن ذاتها بعيداً عن الوصفة الإلهية التي تناسب تكوينها وخصائصها، لتصطدم مع بنود تلك الوصفة و تحديد عن الطريق الذي رسم ليؤدي بها لمكانها المناسب، اصطدام من شأنه قتل مؤهلاتها الأنثوية لأداء أدوارها كأنثى وأخت كأم وزوجة ..

لذلك سنبين من خلال البحث الذي بين أيدينا أن رسالتها الأولى والأهم هي انسجامها مع فطرتها التي فطرها الله عليها وتحقيق وجودها من خلال كثير من الوعي والفهم والوقوف مع الذات.

الفهرس:

- المقدمة
- أولاً: مشكلة البحث
- ثانياً: أسئلة البحث
- ثالثاً: أهمية البحث
- رابعاً: هدف البحث
- خطة البحث
- المبحث الأول: مدخل للفهم الصحيح.
- المبحث الثاني: بين يدي سورة النساء.
- المبحث الثالث: تعريف القوامة لغةً واصطلاحاً.
- المبحث الرابع: القوامة بين عصر التنزيل وعصر التخلف الحضاري.
- المبحث الخامس: أسباب القوامة.
- المبحث السادس: أصناف المرأة أمام القوامة بين الحافظية والنشوز.
- الخاتمة
- نتائج البحث
- توصيات البحث
- قائمة المصادر والمراجع.

مشكلة البحث:

معاناة المرأة خارج المنظومة الربانية.

ليس قدراً ذلك الشقاء الذي تشهد فيه المرأة تتقلب بين ظلماته وتعاني من ويلاته إلا ما اختارته هي لنفسها قدر لها بوجودها ضمن منظومة لا تؤمن بمبادئ ربانية تتكفل بإثبات وجودها وضمن الكيان اللطيف في غيابات النشردم وضياح الهوية وهي حية ترزق، فهي موعودة نفسها بذنب غفلتها وتمكينها لتكون حبيسة ثقافة لا تملك سوى الجسد ومستلزماته أو الجهل وامتداداته لتؤدي من خلال ذلك كله وظيفتها وتثبت وجوداً رأسماله أسواقا حملت منها تجارة رابحة.

أسئلة البحث:

- 1 - هل تتلاءم الفطرة مع مبدأ القوامة ؟
- 2 - ماهي مظاهر شقاء المرأة خارج المنظومة الربانية ؟
- 3 - كيف أنصفت جهود العلماء المرأة في فهم هذه المنظومة ؟
- 4 - هل تلغى القوامة مع تفوق المرأة في بعض الميزات على الرجل ؟

أهمية البحث:

القوامة للرجل تكليف، وللمرأة.. تحرير وتشريف.
تتجلى أهمية القوامة بأنها حاجة كل من الشريكين ليأخذ دورا يلائم فطرته وتكوينه من مجموعة أدوار لن يقدر على الإحاطة بها من يتسلم لتأدية الطرف الآخر لها.
يقول الحسن البصري: ((ومن كمال حكمة الله تعالى وعظيم منته على عباده أن هيأهم فطرة وخلقاً لأداء ما خلقهم له والقيام بما كلفهم به، قال تعالى: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَى) (2)
فقد أعطى الله تعالى كل شيء بما يصلحه ثم هداه لذلك فكما أن الله تعالى خلق الزوجين الذكر والأنثى، فقد أعطى كل واحد منهما من المقومات، وهياً له من الأسباب ما يصلح له ولأداء مهمته والقيام بوظيفته التي أنيطت به.
وأمام الدعوات التي تثار بين الفينة والأخرى لإلغاء القوامة واعتبارها أمراً متعلقاً بمزايا قد تتفوق بها المرأة على الرجل مع كل تقدم وتتطور لابد من تأكيد أصل التشريع كونه يصب في استقرار الحياة الزوجية وصلاح الأسرة كونهما النواة الأولى لصلاح المجتمعات، وبالتالي كانت القوامة (عملية إدارية) يذكر ذلك سيد قطب (3).
وبالتالي فهي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها.
ووجود القيم في مؤسسة ما لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها والعاملين في وظائفها.

هدف البحث:

إن قدرة المرأة على تحمل مسؤوليتها في معرفة محلها من الإعراب في الحياة والبيت والمجتمع، نابع من إدراكها لقيمتها ودورها الكبير في التأثير والتغيير والبناء فعلياً أن تمتلك زمام قيادة نفسها وفق بوصلة ربانية تضمن لها أن تفلح قيادتها فلسنا نبغي أن تكون كنساء الغرب قوية دون فضيلة، ولسنا نبغي أن تكون كنساء الشرق فضيلة دون قوة، فتلك بوصلة خائبة، بل هي بوصلة الهيئة حكيمة تجعل منها صاحبة قوة وفضيلة (4).
ومما يجدر ذكره ألا تغتر المرأة بفكرة المطالبة بحقوقها، وإن كان على الرجل أن يعي هذه الحقوق ويؤديها، ولكن طريقة طرح هذه الفكرة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب لأنها جعلت المرأة لا تفكر إلا فيما تأخذه على عكس فكرة المسؤولية التي جاء بها الإسلام والتي جعلت المرأة تفكر فيما تعطي، والأخذ في الحقوق يتحول إلى جشع والجشع يقود إلى الصراع والاختلاف والشقاق والتفكك،

2- طه الآية 50.

3- في ظلال القرآن ، سيد قطب 121/2.

4-التغيير مفتاح التطوير: اذن البداية من الجذور ص (80).

في حين أن المسؤولية تؤدي إلى تبادل العطاء والمودة وتوثيق الروابط واستمرارية الحياة الأسرية. (5)
مدخل للفهم الصحيح:

يعتبر السياق عند العلماء والمفسرين أساساً في فهم الكلام وأصلاً يحتكم إليه لأنه نزل بلغة العرب، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقران نفسه من حيث انه يعتبر تفسيراً للقران بالقران من خلال هذا المنظار نلاحظ السياق الذي وردت فيه القوامة، فقد وردت في سورة النساء والتي تلتها سورة آل عمران، وهنا تكثر أوجه المناسبة العامة بين السورتين ونذكر منها ما يصب في الموضوع الذي نحن بصدد... أمر الله المؤمنين في سورة آل عمران بالرباط لمواجهة العدو وهذا يؤدي إلى سقوط مخلفون وراءهم أرامل وأيتام، فاتبع ذلك في سورة النساء الأمر بإنصاف النساء والإحسان إليهن، (6) وختمت سورة آل عمران بالتقوى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). (200) آل عمران (7) وبدأت سورة النساء بنداء التقوى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) النساء: [8]

تلك التقوى في مظهرها الاجتماعي فلا يفهم من التقوى اقتصارها على المظهر الشعائري وحسب، فنلاحظ توج النداء بما فيه بداية السورة لكل الناس مع العلم أن سورة النساء هي سورة مدنية كلها، والخطاب المدني يبدأ بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) لأن أي أمر إلهي لا بد له من إيمان صلب وراسخ يتلقاه دون سخط وتململ وضجر، لكن نجد سورة النساء بدأت بخطاب موجه لكل الناس، لماذا؟
لأنهم ينادون لأمر تستدعيها إنسانيتهم، فان ما احتوت عليه السورة من أحكام لا تتوقف على كون المخاطبين مسلمين بل يحس بمظهرها وعظمتها كل ذي إحساس بشري صحيح.

بين يدي سورة النساء :

يشير العلامة (محمود شلتوت) لمحورين أساسيين تدور حولهما سورة النساء. (9)
إن احتفاظ الأمم بكيانها يرتبط بأمرين عظيمين:

الاستقرار الداخلي: أساسه صلاح الأسرة وصلاح الحال في ظل تشريع عادل مبني على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية..
الاستقرار الخارجي: أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطرأ عليها والعدو الذي يطمع فيها، وجعلت ذلك نعمة توجب على الناس تقوى الله عز وجل ومراقبته، يقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا). [النساء: 1] (10)

وأرشدت كل منهما إلى تحري الخير من الأموال بالعمل دون التمني والتشهي وأنه ليس للرجل أن يسلب المرأة العمل الذي خلقت له، كما أنه ليس للمرأة أن تطمع فيما وراء مؤهلاتها الطبيعية وفي ذلك في قول الله عز وجل:

5- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادة القدس، الدكتور ماجد الكيلاني، ص (429).

6- آيات لأحكام - تفسير و استنباط - نور الدين عتر ص (250)

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلرِّجَالِ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [النساء: 32]. (11)

7- آل عمران ص 200

8- سورة النساء الآية 1

9- تفسير القرآن: محمود شلتوت ص(172).

10- سورة النساء (31).

11- سورة النساء (32).

وأفرغت السورة على عقد الزواج صبغة كريمة فأخرجته من أن يكون عقد تملك كعقد البيع والأجرة أو نوعا من الاسترقاق والأسر كما كان قبل الإسلام عند العرب وغيرهم.

فأفرغت عليه صبغة ((الميثاق الغليظ)) وإذا تنبها أن كلمة ميثاق لم ترد في القرآن الكريم إلا تعبيراً عما بين الله وعباده من موجبات التوحيد والتزام الأحكام، وعما بين الدولة والدولة الأخرى من الشؤون العامة والخطيرة، علمنا مقدار المكانة التي سما القرآن بعقد الزواج إليها، وإذا تنبها مرة أخرى إلى وصف الميثاق (بالغليظ) لم يرد في موضع من مواضعه إلا في عقد الزواج وفيما أخذه الله على أنبيائه من موثيق،

قال تعالى: (وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (21). (12)

تضاعف لدينا سمو المكانة التي رفع القرآن إليها هذه الرابطة السامية ..

ثم تبين السورة الدرجة التي جعلها الله للرجال على النساء بعد أن سوى بينهما في الحقوق والواجبات وأنها لا تعدو درجة الإشراف والرعاية بحكم القدرة الطبيعية التي يمتاز بها الرجل على المرأة، وبحكم الكد والعمل في تحصيل المال الذي ينفقه في سبيل القيام بحقوق الزوجة والأسرة وليست هذه الدرجة الاستعباد والتسخير كما يصورها

المخادعون المغرضون، قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ). البقرة 228 (13)

تعريف القوامة لغة واصطلاحاً:

يقول الله عز وجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا). (34) (14)

القوامة لغة: يقال فلان قوام أهل بيته، أي هو الذي يقيم شأنهم، وقيم القوم هوة الذي يقومهم ويسوس أمورهم، وقيم المرأة هو زوجها أو وليها لأنه يقوم بأمرها والقوام على وزن فعال للمبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد⁽¹⁵⁾

12- سورة النساء (21).

أما اصطلاحاً: يراد بالقوامة أحد المعاني الثلاثة:

الأول: القيم على القاصر وهي ولاية يعهد بها القاضي إلى شخص رشيد ليقوم بما يصلح أمر القاصر في أموره المالية.
الثاني: القيم على الوقف، وهي ولاية يفوض بموجبها صاحبها بحفظ المال الموقوف والعمل على بقائه صالحاً نامياً بحسب شروط الواقف.

الثالث: القيم على الزوجة، وهي ولاية يفوض بموجبها الزوج بتدبير شؤون زوجته والقيام بما يصلحها⁽¹⁶⁾ والمعنى المراد من البحث هو النوع الثالث، وبالتالي يكون تعريفها،

القوامة الزوجية: هي ولاية يفوض بموجبها الزوج القيام على ما يصلح شأن زوجته بالتدبير والصيانة.

إن ورود لفظ القوامة بمشتقاتها في الاستعمال بالقرآن بصيغ متعددة، في الماضي والمضارع والأمر والمذكر والمؤنث والمصدر والمثنى والجمع، هذه الصيغ تفيد الحدوث والتجدد والحركة والثبات والاستمرار، وخاصة لفظ

(قوامون) في آية القوامة التي نحن بصدد الكلام فيها فقد وردت بالجملة الاسمية التي تدل أيضاً على الثبات والدوام، لكن وروده في الصيغة الفعلية في مواضع أخرى في كتاب الله، مما يدل على أن القوامة حكم ثابت ولكن له مرونته في الجانب التطبيقي والله أعلم⁽¹⁷⁾

القوامة بين عصر التنزيل وعصر التخلف الحضاري.

علمنا أن آيات القوامة – قوامة الرجال على النساء – نزلت في المدينة المنورة وفي ظل المفهوم الصحيح لهذه القوامة تحررت المرأة المسلمة من تقاليد الجاهلية الأولى وشاركت في العمل العام فكان مفهوم القوامة حاضراً طوال عصر ذلك التحرير.. ولم يكن عائقاً بين المرأة وهذا التحرير.

ولحكمة إلهية قرن القرآن الكريم – في آيات القوامة – بين مساواة النساء للرجال وبين درجة القوامة التي للرجال على النساء، بل وقدم هذه المساواة على تلك الدرجة، عاطفاً الثانية على الأولى بـ ((واو)) العطف، دلالة على المعية والإقتران، أي أن المساواة والقوامة صنوان مقترنان، يربط كل منهما بالآخر، وأليسا نقيضين حتى يتوهم وأهم أن القوامة نقيض ينتقص من المساواة.

كحكمة إلهية جاء ذلك في القرآن الكريم، وعندما قال الله سبحانه وتعالى في سياق الحديث عن شؤون الأسرة وأحكامها، قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).⁽¹⁸⁾

وفي سورة النساء جاء البيان لهذه الدرجة التي للرجال على النساء في سياق الحديث عن شؤون الأسرة، وتوزيع العمل والأنصبة بين طرفي الميثاق الغليظ الذي قامت به الأسرة فإذا بأية القوامة تأتي تالية للآيات التي تتحدث عن توزيع الأنصبة والحظوظ والحقوق بين النساء وبين الرجال، دونما عنن لطرف، أو تمييز يخل بمبدأ المساواة وإنما وفق الجهد والكسب الذي يحصل به كل طرف ما يستحق من ثمرات، ويقول الله عز وجل:

13- البقرة الآية 228.

14- النساء 33-43

15- لسان العرب ج12 – ص52 مختار الصحاح:ص558 الجامع لأحكام القرآن.

16- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج4- ص16.

17- قوامة الرجال على النساء، دراسة تطبيقية للحصول على الماجستير أعدها جمعة صالح الكربى .

18- البقرة 228 .

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَإِسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ). (18)

وقد فهم المسلمون - قبل عصر التراجع الحضاري - الذي أعاد بعضا من التقاليد الجاهلية الراكدة إلى حياة المرأة المسلمة مرة أخرى - أن درجة القوامة هي رعاية ربان الأسرة - الرجل - لسفيتها، وأن هذه الرعاية هي مسؤولية و عطاء، وليست دكتاتورية ولا استبدادا ينقص من المساواة التي قرنها القرآن الكريم بهذه القوامة، بل وقدمها عليا.

ولم يكن هذا الفهم الإسلامي لهذه القوامة مجرد تفسيرات أو استنتاجات وإنما كان فقها محكما بمنطق القواعد القرآنية الحاكمة لمجتمع الأسرة، وعلاقة الزوج بزوجه، فكل شؤون الأسرة تدار وكل قراراتها تتخذ بالشورى أي بمشاركة أعضاء الأسرة، في صنع واتخاذ هذه القرارات لأن هؤلاء الأعضاء مؤمنون بالإسلام، فالشورى

صفة أصلية من صفات المؤمنين والمؤمنات في كل ميادين التدبير وصناعة القرار، والأسرة هي الميدان التأسيسي والأول في هذه الميادين.

قال تعالى: وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ النُّبُغُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ الشورى 37-39 (19)

وفي خطبته صلى الله عليه وسلم، بحجة الوداع (10هـ - 632 م)، وهي التي كانت إعلانا عالميا خالدا للحقوق والواجبات الدينية والمدنية كما صاغها الإسلام أفرد صلى الله عليه وسلم للوصية بالنساء فقرات خاصة، أكد فيها على التضامن والتناصر بين النساء والرجال في المساواة والحقوق والواجبات.

فقال □: (ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، إلا وإن لكم على أنفسكم حقا ولنساتكم عليكم حقا فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت! اللهم فاشهد) 9 (20)

هكذا فهمت القوامة في عصر التنزيل فكانت قيادة للرجل في الأسرة اقتضتها مؤهلاته ومسؤولياته في البذل والعطاء، هي قيادة محكومة بالمساواة والتناصر والتكافل بين الزوج وزوجه في الحقوق والواجبات ..

ومحكومة بالشورى التي يسهم بها الجميع ويشاركون في تدبير شؤون الأسرة، وهذه الأسرة التي قامت على (الميثاق الغليظ) ميثاق الفطرة والتي تأسست على المودة والرحمة.

فالقوامة ضرورة من ضرورات النظام والتنظيم في أمة وحدة من وحدات التنظيم الاجتماعي لأن وجود القائد الذي يحسم الاختلاف والخلاف هو مما لا يقوم النظام والانتظام إلا به.

18- النساء 32-34.

19- الشورى: 37-39.

20- حاشية السندي على ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الرجل، ج 1 صفحة 568.

هكذا كانت القوامة في الفكر والتطبيق في عصر صدر الإسلام لكن الذي حدث بعد القرون الأولى وبعد الفتوحات التي أدخلت إلى المجتمع الإسلامي شعوبا لم يهذب الإسلام عاداتها الجاهلية في النظر إلى المرأة والعلاقة بها قد أصاب النموذج الإسلامي بتراجعات وتشوهات أشاعت تلك العادات والتقاليد الجاهلية في المجتمعات الإسلامية من جديد. (21)

حتى غدت كلمة (عوان) وهي الوصف الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حجة الوداع قد أصبحت تعني في هذا العصر التراجع الحضاري أن المرأة أسيرة لدى الرجال وأن القوامة هي لون من ألوان القهر لأولئك النساء الأسيرات. فالرازي مثلا يرى القوامة تسلطا وتديبا للرجال فالرجال مسيطرون على تاديبهن والاختذ فوق ايديهن فهو كالأمر حكمه نافذ فيها¹⁰. (22)

وابن القيم يقول: (أن السيد قاهر للملوكة حاكم عليه مالك له والزوج قاهر لزوجته حاكم عليها...)⁽²³⁾ و الزمخشري يراها أمرا ونهيا قال: يقومون عليهن أمرين ناهيين كما يقوم الولاة على الرعايا.⁽²⁴⁾ والنسفي يقول مثل ذلك..

وبعض الفقهاء يصفون عقد النكاح بأنه ((عقد تمليك بضع الزوجة))....

هذا على حد تعبير الدكتور - محمد عمارة - يعتبر انقلابا على المعاني القرآنية السامية لمصطلحات ((الميثاق الغليظ)) والمودة والرحمة والسكن والسكينة وافضاء كل طرف الى الطرف الاخر حتى أصبح كل منهما لباسا له، وهكذا حصل الانقلاب في عصور التراجع الحضاري لمسيرة أمة الاسلام.

وهذا ما خلق قابلية كبيرة وجوا مناسباً ليكون نموذج المرأة المقهورة ((نموذج فتنه)) للقوم الظالمين، لتتلاشى مصداقية فضيلتها، ويبرز النموذج الآخر الغربي المتمثل في انحرافه عن شريعة الله وقوانينه. أسباب القوامة ..

لقد جاء الإسلام ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وليحمي ملكات وطاقات الإنسان وليشرك الإناث والذكور جميعا في الأمانة التي حملها الإنسان، وليكون بعضهم أولياء بعض في النهوض بالفرائض الاجتماعية، الشاملة لكل ألوان العمل الاجتماعي ..

لكن العادات والتقاليد الجاهلية في احتقار المرأة والانتقاص من أهليتها وعزلها عن العمل العام وتعطيل ملكاتها وطاقتها الفطرية قد دخلت في حرب ضروس ضد القيم الإسلامية لتحرير المرأة وسعت إلى التفسيرات الشاذة والمغلوطة لبعض الأحاديث النبوية والمأثورات الإسلامية كي يكون ' غطاء شرعياً ' لهذه العادات والتقاليد¹¹ (25).

21- التحرر الإسلامي للمرأة د.محمد عمارة ص111-116.

22- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي 12/ ص88

23- اعلام الموقعين ج2 ص. 101

24- حقائق التنزيل عن عيون الأفاويل، في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر - ج 1 ص 523.

25- التحرير الإسلامي للمرأة ، الدكتور محمد عمارة ، ص 86 .

26- آراء العلماء والمفسرين يجدها القارئ مفصلة في رسالة الدكتور جمعة الكربي ، فقد أجاد في استقراء هذه الآراء وجمعها وتحليلها ..

27- النساء الآية 34.

وهذا ما نجد في تفاسير المتقدمين عندما حصرنا أسباب القوامة في سببين: (26)

- السبب الوهبي: وهو كمال العقل والدين.

وذلك بتفسير قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) النساء 34 (27) أي أن الله سبحانه جعل القوامة على المرأة للرجل لأجل تفضيل الله له عليها بما وهب الرجل من ميزات يتفوق بها الرجل على المرأة والجهاد وزواجه من أربعة وبيده الطلاق والرجعة وغير ذلك ..

بينما نجد بعض المتأخرين من يصرح بتصريحات خجولة بوصف تلك الأفضلية بأنها كمال في العقل أو كمال في الدين، وهذا ان دل على شيء، فهو يدل بأن ثمة تغييرات طرأت على طريقة فهم هذه الأفضلية ..

ومما كان له الحظ الأوفر في هذا المقام للتفسير الخاطئ الذي ساد وانتشر لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ" قُلْنَ: وَمَا نُفْصَانٌ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ:

فَذَلِكَ مِنْ نُفْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكَ مِنْ نُفْصَانِ دِينِهَا". (28)

ذلكم هو الحديث الذي اتخذ تفسيره المغلوط ولا يزال غطاءً شرعياً للعادات والتقاليد التي تنتقص من أهلية المرأة والذي ينطلق منه غلاة الإسلاميين في جهادهم ضد إنصاف المرأة وتحريمها من أغلال التقاليد الراكدة.

والحديث في الحقيقة يخاطب حالة خاصة من النساء ولا يشرع شريعة دائمة ولا عامة في مطلق النساء فهو يتحدث عن (واقع) والحديث (الواقع) القابل للتغيير والتطور شيء والتشريع (للتوابت) عبادات وقيم ومعاملات شيء آخر.

وعندما يقول الرسول □: (إِنَّا أُمَّةٌ أَمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ الشَّهْرَ هَكَذَا) 12 (29)

فهو يصف (واقع) ولا يشرع لتأييد الجهل بالكتابة والحساب، لأن القرآن قد بدأ بفريضة ' القراءة

لقوله تعالى في سورة العلق (أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)) . العلق 1-5 (30)

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وصف ' واقع ' الأمية الكتابية والحسابية، هو الذي غير هذا الواقع بتحويل البدو والجهلاء الأميين إلى قراء وعلماء وفقهاء، وذلك امتثالاً لأمر ربه في القرآن الكريم، فوصف ' الواقع ' كما نقول مثلاً: نحن مجتمعات متخلفة لا يعني شرعنا هذا الواقع ولا تأييده فضلاً عن تأييده بأي حال من الأحوال.

فالحديث أيضاً يشير إلى غلبة العاطفة والرفقة على المرأة وهي عاطفة ورقة صارت سلاحاً تغلب به هذه المرأة أشد الرجال حزماً وشدة وعقلاً، وإذا كانت غلبة العاطفة إنما تعني تفوقها على الحسابات العقلية المجردة والجامدة، فإننا نكون أمام عملة ذات وجهين،

28- أخرجه البخاري ج (1) ص (68).

29- أخرجه مسلم ج (1) ص (86).

30- العلق 1-6 .

31- التحرير الإسلامي للمرأة ص 88.

تمثلها المرأة .. فعند المرأة تغلب العاطفة على العقلانية وذلك على عكس الرجل تغلب عقلانيته وحساباته العقلانية عواطفه، وفي هذا التمايز فطرة إلهية وحكمة بالغة، ليكون عطاء المرأة في ميادين العاطفة بلا حدود وبلا حسابات، وليكون عطاء الرجل في مجالات العقلانية المجردة والجامدة مكملًا لما نقص عند الشق اللطيف والراقيق .⁽³¹⁾

يقول المفكر أليكسس كاريل ' إن الرجل له خصائصه الطبيعية وتكوينه الفطري حيث يختلف عن المرأة بتكوينه الجسدي والعقلي والنفسي وكذلك المرأة لها تكوينها الفطري الذي تختلف به عن الرجل ، فهذه الفروق الدقيقة راعاها الإسلام فمنح الرجل القوامه لهذا السبب وهي فروق عميقة ودقيقة أوجدها الخالق عز وجل بين الرجل والمرأة لحكمة يعلمها، الأمر الذي يستحيل معه تطبيق نظرية المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في جميع الجوانب والمناداة بالمساواة بينهما على إطلاقها هي ظلم للمرأة والمجتمع فالمساواة في بعض الجوانب عين العدالة وهذا ما أقره

الإسلام في جوانب أخرى محض الظلم والقسوة والتجني على المرأة نفسها ..

وما بينهما من فروق ليست ناشئة من اختلاف الأعضاء الجنسية أو من اختلاف في طريقة التربية، وإنما تنشأ من اختلاف عميق وهو تأثيرات العضوية بكاملها بالمادة الكيماوية، ومفرزات الغدد التناسلية، وإن الجهل بهذه الوقائع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية ينادون بأن كلا من الجنسين يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة وأن يمارسوا أعمالًا متماثلة، والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافًا عميقًا عن الرجل، فكل خلية من جسمها تحمل طابعًا من جنسها

وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية لا سيما الجهاز العصبي⁽³²⁾.

وهو قوله تعالى: (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۗ) . النساء (٣٤) (33)

يقول القرطبي يعني بما فضل به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن، وإنفاقهم عليهن أموالهم .⁽³⁴⁾

يقول ابن عاشور " وبما أنفقوا من أموالهم " أي بإنفاقهم من أموالهم، وقد جيء بصيغة الماضي للإيماء بأن أمر قد تقرر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم فالرجال هم العائلون لنساء العائلة من زوجات وبنات، وأضيف

الأموال إلى ضمير الرجال لأن الاكتساب من شأن الرجال، فقد كان في عصور البداوة بالصيد والغارة والحرب والغنائم، وزاد الاكتساب الرجال في عصور الحضارة بالفرس والتجارة والإجارة والأبنية ونحو ذلك.

وهذه حجة خطابية لأنها ترجع إلى مصطلح غالب البشر ولا سيما العرب، ويندر أن تتولى النساء مساعي من الاكتساب.⁽³⁵⁾

ومتى عجز عن نفقتها لم يكن قواما عليها واذا لم يكن قواما عليها كان لها فسخ العقد لزوال المقصود الذي شرع له عقد النكاح...⁽³⁶⁾

وقد اتفق المفسرون بشكل عام على أن الأنفاق يعتبر سببا أساسيا للقوامه، وعلى هذا يرى بعض الفقهاء كأبو حنيفة جواز الفسخ والتفريق بين الزوجين عند الإعسار وعدم قدرة الرجل على الإنفاق وسواء كانت الزوجة

موظفة أو غير موظفة عليه أن ينفق عليها قال تعالى: (وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ) 233 البقرة⁽³⁷⁾

إذا عند الحنفية جواز الفسخ دون الوجوب، قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) البقرة (280) (38).

أما بقية أئمة المذاهب يقولون بوجوب التفريق بين الزوجين عند إعسار الزوج،

قال تعالى: (فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ) البقرة 299 (39)

32- المرأة بين الشريعة وجاهلية العصر ص85 .

33- سورة النساء آية (34) .

وليس في الإمساك مع ترك الإنفاق إمساك بمعروف فيتعين التسريح . (40)

إذا اختلف العلماء في حكم الفسخ والتفريق بين الزوجين عند عسر الإنفاق، والمسألة اجتهادية لعدم وجود دليل صريح بحكم الفسخ. ونتيجة هذا الاختلاف نرجح رأي الحنفية لملاسته للواقع وما من شأنه أن يحفظ كيان الأسرة من الخراب والضياع، فقد تدور الأيام ويعسر الزوج بعد أن كان موسرا وقام بواجب الإنفاق، فلا يعقل أن تتركه زوجته وبينهما من المودة والرحمة مالا يعلمه إلا الله فتصبر عليه وتستعين بالله. يقود التمرد على أسباب القوامة سواء الوهية منها والكسبية لئلا ينفقها بالمطلق حركات وتيارات كان لها تأثيرها في مجتمعات تُعتبر فيها الحرية هي جوهر الحياة وهي الاختيار المطلق الذي لا يحده دافع أو وازع خارجي. (41)

وهذه الحرية هي ضالة المرأة هناك وهي غايتها، فإن كان المقصود من تلك الحرية ألا يندفع الإنسان إلى سلوك أو عمل إلا بإرادته الداخلية فهذا مطلوب والله عز وجل يريد من كل واحد منا أن يعبد عن طواعية واختيار، أما إن كان المقصود أن يفعل الإنسان كل ما يميله عليه هواه ويرضى غرائزه هكذا من دون وازع أو رادع ودون الخضوع لسلطان الضرورات والمصالح التي تفرض على الإنسان من خارج كيانه فهم بذلك ليسوا قدوة في تطبيق ما يدعون إليه، فهم ما يزالون يلتزمون قواعد الصحة في طعامهم وشرابهم ويلتزمون بالشروط التي لا بد منها لتحقيق الرفاه الاقتصادي، ويلتزمون الانضباط بالمناهج التي لا بد منها للحصول على الزاد الثقافي والعلمي اللذين لا بد منهما لممارسة الحياة المتطورة.

إذا هذا التناقض في مفهوم الحرية لدى الغرب سببه القلق لأنهم يبيحون لأنفسهم كل شيء ولا طاقة لديهم في تحقيق كل شيء. وانطلاقا من هذا الصدام تقع المرأة في مأزق فهي لا طاقة لها بمقتضيات المساواة التامة التي تروم وتسعى سعيا حثيثا لتحقيقها فهي تريدها ولا طاقة لها بفطرتها وطبيعتها تكوينها للوصول إليها.

تقول المحامية الفرنسية كريستين ' سبعة أشهر قضيتها في زيارة كل من بيروت ودمشق وعمان وبغداد، وها أنا أعود إلى باريس فماذا وجدت؟ وجدت رجلا يذهب إلى عمله كل صباح يتعب ويشقى ويعمل حتى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز ومع الخبز حب وعطف ورعاية لها ولصغارها، والأنثى في تلك البلاد لا عمل لها إلا تربية الجيل والعناية بالرجل الذي تحب أو على الأقل الرجل الذي كان قدرها، في الشرق تنام المرأة وتحلم وتحقق ما تريد، فالرجل وفر لها خبزا وراحة ورفاهية، وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة فماذا حققت؟

المرأة في غرب أوروبا سلعة فالرجل يقول لها: انهضي لكسب خبزك فأنت قد طلبت المساواة، ومع الكد والتعب لكسب الخبز تنسى المرأة أنوثتها وينسى الرجل شريكته وتبقى الحياة بلا معنى (42).

وهذا هو أيضا جوهر ما تدعو إليه الحركة النسوية (FEMINISM) التي انطلقت منها المرأة الغربية والتي تهدف إلى تأسيس مساواة تامة بين الجنسين لمحاربة الصورة النمطية الجندرية،

34- الجامع لأحكام القرآن ج 5 ، ص 29 .

35- التحرير والتنوير ج 5، ص 41 .

36- الهداية شرح بداية المبتدئ ج (3)، ص 41.

37- سورة البقرة 233.

38- سورة البقرة 280.

39- سورة البقرة 229 .

40- أحكام القرآن للهراسي ج ٢ ، ص (449).

41- من صور تكريم الإسلام للمرأة ، ص (177).

42- من صور تكريم الإسلام للمرأة ، ص (177)

ولتثبت صراعها الأزلي مع الرجل وعداءها له كونها تعتبر قوامته مفهوما يحقر من شأنها، ومن قدرتها على كل الأعمال التي يقوم بها الرجل وتحقيق المنفعة المادية لتثبت من خلال كل ذلك ذاتها، مما أدى إلى إقصاء دور الأمومة عن كونه عملا اعتباريا ذا قيمة وكذلك تنشئة الأطفال والأعمال المنزلية الأخرى، حتى تمكن هذا المفهوم من كثير من النساء بعد أن تسرب إلى اللاوعي في الزمن القريب فأصبحت كل ربة منزل إن سألتها عن عملها أجابت على استحياء أنها لا تعمل بل تجلس في البيت يقول العلامة محمد الغزالي إن الذين يزدرون وظيفة البيت جهال بخطورة هذا المنصب وأثاره البعيدة في حاضر الأمم ومستقبلها الأخلاقي والاجتماعي، وإن أعباء هذا المنصب تكافئ أعمال الرجل الشاقة خارجه، وقد وجهت الشريعة كلا من الطرفين إلى ما يليق به ويتفوق فيه، ولا شك في أن أجل مهام المرأة في الحياة هي مهمة الأمومة وتربية النشء، وهي في هذه المهمة تزود المجتمع بكل عناصر البناء والتقدم، وبقدر إخلاصها في هذه المهمة يكون المردود جيدا على الأمة بأسرها⁽⁴³⁾ وإن كان هناك مبادئ وأخلاق تتخلق بها هذه المرأة التي تتمركز حول ذاتها لتحمي ذاتها بها وتكتفي بذلك، فهي أخلاق بالغة الوهن لانفصالها عن المصدر الذي منحها قوتها المبدئية، فالأخلاق بوصفها مبدأ لا توجد بلا دين، وهذا ما يؤكد قاعدة ' يوجد ملحدون على أخلاق ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي ' ⁽⁴⁴⁾

أنصاف النساء أمام قوامة الرجال بين الحافظية والنشوز.

(الصالحات) ..

وهو النموذج الواعي والراشد المنسجم مع الفطرة دون إكراه وتسلط، بل باختيار وحب، وشراكة سعيدة ومثمرة، هؤلاء الصالحات من شأنهن القنوات وهو السكون والطاعة لله فيما أمر به ومنه القيام بحقوق الزوجية والخضوع لقيادة الرجل فيما جعلت له فيه القيادة، والاحتفاظ بالأسرار الزوجية والمنزلية التي لا ينبغي أن يطلع عليها أحد غير الزوجين. ⁽⁴⁵⁾

وفي قراءة متواترة للإمام أبي جعفر، يقرأ لفظ الجلالة بنصب الهاء (الله) على أن ما مصدرية، أي بحفظهن أمر الله أو موصولة أي بالبر الذي حفظ حق الله، أي بحفظهن أمر الله، ووجه من قرأ بالرفع على أنه فاعل، وما مصدرية أو موصولة (أي بحفظ الله إياهن أو بالذي حفظ الله). ⁽⁴⁶⁾

والحافظية تلك تعدّ امتدادا للقوامة والسلوك التطبيقي لها، حيث تبدأ من إتقان المرأة دورها الوظيفي في البيت وخارجه.

(النشوز) ..

يقال: نشز الرجل، إذا كان قاعدا فنهض قائماً، ومنها إنشاز عظام الميت، أي رفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض، ونَشَرَ بعلها عليها، أي ضربها وجفاها. ⁽⁴⁷⁾

43- قضايا المرأة ص ١٢٣ ، ١٢٤ ،

44- الإسلام بين الشرق والغرب ص (150).

45- تفسير القرآن الكريم ، للإمام محمود شلتوت ، ص ١٧٤.

46- البسط في القراءات العشر، ج ١ ، ص ٣٨٣.

واللاتي يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ويحاولن الترفع على ما تفتضيه فطرهن، فيعرضن بذلك الحياة الزوجية للتدهور والانحلال فهن، بقدر ما يترفعن على أزواجهن بقدر ما يتردى مستوى الشراكة الزوجية، فهي تريد أن تحقق ما تريد بالاستبداد والتكبر، ولديها من أسلحة الأنوثة ما يكفي لتحصيل ما تريد دون معاندة أو استعلاء ما علينا معرفته في صور التأديب التي نص الله عز وجل عليها، عندما حرم على الزوج ظلم زوجته، قال تعالى: (فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً¹⁶) 34 النساء (48) وحرم عليه مطالبته بما هو فوق طاقة احتمالها، فمن باب أولى يجب ألا يتخلل الظلم أي مرحلة من هذه المراحل الثلاث: (الوعظ، والهجر، والضرب) أو ممارستها بشكل خاطئ وغير إنساني وأخلاقي .. فعند تضارب وجهات النظر مثلاً واختلافها وقررت تلك الزوجة ألا تطيع زوجها تأملاً منها في تغيير موقفه، فهل قام فعلاً بوعظها بلطف واحترام؟ هل جلس معها وحاورها؟

هل فكر إن كان من الممكن أن يتجاوز عن خلق ساءه منها ليرضى بخلق آخر قد لا يجده عند امرأة سواها؟ فإن تمسك كل منهما برأيه، فهي ترى أن أمراً معيناً لا يستدعي منه الرفض وهو يرى أنه الأمر الناهي وعليها أن تطيعه في كل شيء فهل سينتقل بسلام للمرحلة التي تليها وهي الهجر في المضجع أو ضرب غير مبرح؟! عند تقاوم الأمور الواقع يشهد أن الرجل اليوم عندما يضرب زوجته فسوف يضربها ببنيته وقوة عضلاته، فلن يكون ضرباً غير مبرح كما ينسجم مع أمر الله عز وجل عندما شرعه وأذن به، بل هو يضربها بعنف ووحشية وكأن من أمامه ليست كائناً مكرماً ومحترماً بل مجموعة من الحشرات، وبالتالي لن يكون حكيماً ولا تقياً وقد لا يكون حتى مجرد أنساناً عاقلاً يدرك أبعاد الأمور .. وهذا ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: دَبَّرَ النَّسَاءَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجِهِنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ أَطَافَ بِأَلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجِهِنَّ، لَيْسَ أَوْلَنُكَ بِخِيَارِكُمْ). (49) أي أنه صلى الله عليه وسلم علم أن معظم الرجال لم يلتزموا بالضوابط، ولم يمرروا بالمراحل الأولى في تأديب نساكنهم وبالتالي هم أسوأ الناس وليسوا خيارهم. والسؤال الذي يطرح نفسه.

كيف أباح الله أن يضربها وهو الذي قال تعالى: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمَا مَسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) 17 البقرة (50) فهو لن يكون مع الضرب إمساكاً بمعروف، بل إمساكاً بعنف؟ الجواب ..

إن رجلاً يحترم نفسه يفهم ماذا تعني قوامته على زوجته وماذا يعني الميثاق الغليظ القائم على المودة والرحمة والإفضاء الكامل بالفكر والروح والقلب، هذا لن يضرب، لأنه إن قام بذلك بحجة التأديب قد يعتاد عليه وعندها لن يكون إمساكاً بمعروف بل إمساكاً بعنف وقهر وإذلال، وخاصة عند وجود الأطفال، ورؤيتهم مشهداً تضرب فيه أمهم، فإن فعل ذلك مرة تحت ضغط شديد، ندم واستدرك ووضع النقاط على الحروف.

47- مختار الصحاح، ص (660).

48- النساء الآية 34.

49- الحديث أخرجه أبو داود ج 1- ص 501 الرقم (2146).

50- البقرة، الآية 229.

والمرأة العاقلة بدورها تتفهم قوامه الرجل وتستدرك الأسباب التي دفعت زوجها لضربها، وعندئذ لا بد من تفهم كل منهما للآخر وتبادل وجهات النظر بروية وهدوء بما يحقق الغاية الأخيرة وهي معرفة الله وحدوده ومخافته وأنه كان علياً كبيراً فوق كل ظلم وظالم.

الخاتمة

' الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهدي لولا أن هدانا الله ' القوامه . للتي هو أقوم ، لحياة يُضخّ فيها نبض الشريعة وروحها فلن تنال استقامتها إلا بالعودة لمنهج قويم أنعم الله به علينا لحياة أهدى وأقوم.

نتائج البحث

- 1 - القوامه هي مسؤوليه دينيه ومهمه شرعيه متكامله ويتجلى ذلك من خلال أمرين .
- فهمها ضمن السياق الكامل لمكانه المرأة في كتاب الله بنبذ كل موروث أو ثقافه تخدش أو تنتقص هذه المكانه .
- من خلال تطبيقاتها السلوكيه التي تليق بهذه المكانه .
- 2- إلغاء قوامه الرجل على المرأة هو مشروع خائب وخاسر لأنه يقر باصطدام صريح مع قوانين الله وسننه الاجتماعيه الثابته في هذا التشريع والتي لا طريق دونها لاستقرار الحياه الأسريه ومن ثم استقرار مجتمع بأكمله
- 3- من يفهم منظومه الحق ويؤمن بصلاحيته لكل زمان ومكان يؤمن بأن كلا من الزوجه والزوج يحتاج إلى تلك القوامه لأنها تمثل انسجاما مع قوانين الله وسننه في نجاح الحياه الاجتماعيه مادامت تنطلق من حاجات الفطره الطبيعيه التي فطر الله الناس عليها، وبالتالي فالقوامه تليح حاجه المجتمع لأن صلاحه متوقف على صلاح الأسرة .
- 4 - اختلاف العلماء والمفسرين - المتقدمين منهم والمتأخرين- في تفسير القوامه ، يدلّ على أهميه التفريق بين القوامه كمبدأ ثابت في الشريعه الإسلاميه، ولا غنى عنها في أسرة ومجتمع يسعى نحو الفضيله والتحضر، وبين ما هو متغير في تطبيقاتها التي لا يجب أن تصطدم مع الأصل الثابت، بل يجب أن تصب في المحافظه عليها وترسيخها .

التوصيات

- 1- لا استقامه للبيوت إلا بالعودة لمنهج الله في تغيير الأنفس وصلاحها .
- 2- ترسيخ أهميه العمل المؤسسي في توعيه الشباب المقبلين على الزواج ' الميثاق الغليظ ' .
- 3- سيتخطى الأزواج الكثير من العناء والشقاء بفهم كل من الزوج والزوجه طبيعه الآخر، وأن هناك بعض الظروف القاسيه التي تمر على كيان الأسرة فلا بد من تفهم كل منهما للآخر واستيعابه واحتوائه .
- 4 - عند وجود الأطفال، يغدو فهم مبدأ القوامه، حلاً إسعافياً لدرء مفسده امتداد سوء الفهم للثمره التي ليس لها ذنب في غيّ النفوس وطغيانها، فالمسؤوليه لا يكفي بوصفها كبيره فقط بل هي مضاعفه أيضاً .

الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، المحقق، موسى محمد علي، دار الكتب العلمية، 1405 هجرية .
- 2- آيات الأحكام تفسير واستنباط، الدكتور نور الدين عتر، 1417 هجرية، 1996م.
- 3- البسط في القراءات العشر، سمر العشاء، المجلد الأول، مكتبة دار البشائر دمشق 1422 هجرية، 200م .
- 4- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الأولى، 1412 هجرية، 1994 م .
- 5- إعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق، بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان .
- 6- التحرير الإسلامي للمرأة، الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1423 هجرية، 2002 م .
- 7- التغيير مفتاح التطوير، اذن..البداية من الجذور، ليلي نبيل الكردي، دار الفكر، دمشق .
- 8- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 9- العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مقرر السنة الثالثة، كلية الشريعة، جامعة دمشق
- 10- القرآن الكريم طبعة المدينة .
- 11- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي .
- 12- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، للإمام اسماعيل بن عمر بن كثير، دار السلام، الرياض .
- 13- المرأة بين الشريعة وجاهلية العصر، محمد حسين أبو ملح، دار أمواج للطباعة، عمان، الأردن .
- 14- الهداية شرح البداية المبتدئ للعلامة برهان الدين أبي الحسن علي بن ابي بكر عبد الجليل الشداني، المكتبة الإسلامية .
- 15- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، الملقب بملك العلماء، الطبعة الأولى، 1409 هجرية، 1989م .
- 16- تفسير القرآن الكريم، الإمام محمود شلتوت، الناشر، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .
- 17- سنن أب داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت .
- 18- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422 هجرية.
- 19- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجليل، بيروت 16- في ظلال القرآن، سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، 1412 هجرية، بيروت .
- 20- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، دار الشروق، الطبعة العاشرة .
- 21- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف .

- 22- مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، بيروت .
- 23- مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1230 هجرية .
- 24- من صور تكريم تكريم الإسلام ، محمد ابراهيم الحمد .
- 25- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، الدكتور ماجد عرسان الكيلاني ، دار القلم ، دبي .
المصادر الإلكترونية ..
- 26- الهداية شرح البداية المبتدىء للعلامة برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر عبد الجليل الشداني، المكتبة الإسلامية.
المصادر الإلكترونية:
- 27- قوامه الرجال على النساء في كتب التفسير دراسة تحليلية على المجتمع القطري ، رسالة ماجستير ، للدكتور جمعة صالح الكربي .
- 28- قوامه الرجل في المذاهب الأربعة، علاء ابراهيم عبد الرحيم ،مركز سلف للبحوث والدراسات .

Reference

- 1-Ahkam Alquran, Ali Mohammad bn Ali, Abo Alhasan Altabri, almulkab b amed Alden almarouf b Alkeia Alhrasi Alshafae, Almohakik, Mousa mohammad Ali, Dar Alketab Alalami, 1405 HJ.
- 2-Ayat Al ahkam tafser w istnbat, Doctor Noor Aldeen Atar, 1417 HJ, 1996
- 3- Albaset fi alqeraat alasher, samara lasher, almujaalad alawal, maktabt Dar Albshaer, dimashq ,1442 HJ, 2002.
- 4-Alislam ben alsharq w ala'arb, Ali 3ezat bejofetsh, moassat Alsadeq lel tebaa w alnasher, Tahran, altabaa alwla, 1412 HJ,1994
- 5- Elam almokaen, ibn Alqem Aljawzia, tahkik, basher mohmmad Oion, Altabaa alawla, mak-
tabet Dar Al bayan.
- 6-Tahrir Alislami Ilmaraa, Al Doctor mohammad Amara, Dar Alshoroq, Alqahra, 1423 HJ,2002.
- 7-Altaa'er moftah al tatwor, izn albdaya min al jozour, Lila Nabel Al kordi, Dar alfikir, Di-
mashq.
- 8-Jamea liahkam alquran, abo Abdallah Mohammad bn Ahmad Alansari Alqortobi, Tahkik,
Abd Alrazaq Almhdi, Dar Alkitab Alrabi, Bierut.

- 9- Alakida alislamia w alfaker almoaser, Doctor mohmmad saed Ramadan alboti, mokrar alsna althaltha, kolyat alsharea, Jamaet dimashq.
- 10- Alquan Alkarem tabat almadinah
- 11- Al kashef an hakek altanzel w oion alaqawel fi wjoh altaawel, Abo Alqasem Mahmoud Ibn Omar Alzmakhshari Alkharzmi, tahkik Abdlrzaq Alma hdi.
- 12- almsbah almoner fi tahzeb tafser ibn Kather, llimam Ismaael bn Omar bn Kather, dar Al-salm, Alriyad
- 13- almaraa bain alsharea w jahliat alaser, mohammad Hussain abo melhim, dar almwaj llti-baha, amman, alordon.
- 14- alhdaia shareh albdaya almobtdaa llalama Borhan Aldeen Abi Alhasan Ali bn Abi Baker Abdaljalil Alshdani, maktabet alislam.
- 15- badaa alsanaaa, lilymam Alaa Aldeen Abi Baker bn Masood Alkasani Alhanfi, almolakab bmalik alolmaa, altabaa alwla , 1409 HJ, 1989.
- 16- tafser alquran alkarem, alimam Mahmoud shaltot, alnasher, almojamaa alalmi altakreebi ben almazahib alislamia.
- 17- sonan Ab Dawod, sleman bn alashaath abo dawod Alsgstani Alazdi, tahkik, mohammad mohi aldeen abd alhmaid, dar, alfikir, bairut.
- 18- sahih albukhari, mohammad bn ismail bn Ibrahim bn alma'ira albukhari, tahkik, mohammad bn Naser alnaser, dar toq, altabaa alwlah, 1442 HJ.
- 19- sahih moslem, abo alhussain moslem bn moslem alqusheri alnisabori, dar aljobil, bierut 16- fi zlal alquran, saed qutub Ibrahim Hussain alsharbi, dar alshoruq, tabaa alsabaa, 1412 HJ, bierut.
- 20- qadaya almaraa ben altaqleed alrakida w alwafida, mohammad alqazali, dar alshrouq, altabaa alashira.
- 21- lisan alarab, libn manzor, dar almaaref
- 22- mokhtar alshah, mohammad bn abi baker abdulkader alrazi, Beirut .

23- mafatih ala'arib, abo Abdullah mohammad bn omar bn alhasan bn alhussain altimi alrazi, amolakab b fakher aldeen alrazi khateeb alray, dar ahyaa altrath alrabi, Beirut, altabaa althalth, 1230HJ.

24-min swar takrem takrem alislam, mohammad Ibrahim alhmad

25- hakaza zahar jeel salah aldeen w hakza adat alqods, Doctor Majed arsan alkilani, dar al-kalam, dubai

26 – Al hedayashrh al mobtdi llalama Brhan AL dienAby ALhasan ALI bn Abo Baker abdo Jalel Al shedani, Almaktaba Malesblm.

Al masadwv al elktronsh:

27- quamat alrjal ala alnsaa fi kitab altafser drasa tahlilia ala almojtma alqatari, risala majster lldoctor Joma Saleh Alkarbi

28-kawama alrjal fi mazhab alarabaa, Alaa Ibrahim, Abd Alrahim, Markaz Salaf llbuhoth w al-drasat.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.18.9